تمهيد

هذا العمل قراءة للتراث النحوي ومحاورة له بالاعتماد على إطار نظري واضح ومتناسق، ينطلق من قراءات التراث السابقة له من إبراهيم مصطفى إلى تمام حسان فيعتمدها ويبني عليها، وهو إذ يقدّرها حقّ قدرها يحاول أن يتفادى أخطاءها ونقائصها. وهي تتلخص فيما سميناه «التجريبية» [1] Empirisme التي تمثل العيب الأساسي لمقاربات المحدثين للتراث النحوي ونقصد بالتجريبية قلة التنظير للممارسة العلمية وعدم تفكير الباحث في منطلقاته ومسلماته.

ولهذا السبب استعصى على المحدثين صياغة القضايا التي يطرحونها والأهداف التي يرومونها صياغة صريحة. وقد كان ذلك بسبب ضعف أسسهم النظرية على مستويين:

- على مستوى إدراك خصائص النظرية العلمية عموما وشروط بنائها ومستويات التركيب فيها وما تنفصل به من التأمل الفلسفي العقيم والتفكير المذهبي أو الوثوقي.

- على مستوى الدراسة اللغوية لما تتميز به الظاهرة اللغوية من تشعّب وما تقتضيه مباشرتها من احتياطات منهجية.

وقد حاولنا أن نتجنّب هذا النقص في قراءات اللغويين العرب السابقين لنا على هذين الصعيدين. فقد اتضح لنا - بفضل تأخّرنا التاريخي عنهم، الذي ييسّر

---

1 مفهوم التجريبية عندنا يماثل ما يسميه فاسي الفهري "التجريبوية الساذجة" (naive empirisme) انظر ص 57 من اللسانيات واللغة العربية الكتاب الأول.